الذات والآخر
في نظر الشباب الفلسطيني

محمود ميعاري *

من الطبيعي ان يتفاعل الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة، (بعد حرب حزيران (يونيو) عام 1967، مع الفلسطينيين داخل اسرائيل وذلك بعد ان احتلت اسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة. وحدث هذا التفاعل، الذي تم بالأساس من خلال اللقاءات والزيارات المتبادلة وفي أماكن العمل، بعد انقطاع استمر عقدين من الزمن بعد حرب عام 1948. كما تفاعل الفلسطينيون في الضفة والقطاع مع اليهود الاسرائيليين من خلال اللقاء بهم، بالأساس في المعتقلات ونقاط التفتيش العسكرية والمواجهات مع قوات الامن الاسرائيلية، وأحيانا في مكان العمل والمحل التجاري والشارع. وفضلا عن ذلك، تفاعل الفلسطينيون في الضفة والقطاع مع العرب في الاقطار العربية الأخرى من خلال الزيارات المتكررة لتلك الأقطار، وأحيانا العمل فيها، فضلا عن التعرض للانتاج الثقافي والفكري، ولوسائل الإعلام المختلفة لتلك الاقطار. ومن الطبيعي، ايضا، ان يسهم تفاعل الفلسطينيين في الضفة الغربية مع أفراد من الجماعات المذكورة في تشكيل نظرة ايجابية، أو سلبية، للشخص المتوسط من كل جماعة.

وهكذا، فإن هدف هذا البحث هو التعرف على الصورة النمطية التي يرسمها الشباب الفلسطيني لذاته وللشخصية الفلسطينية في الضفة الغربية والشخصية الفلسطينية في قطاع غزة والشخصية الفلسطينية داخل اسرائيل. كما يهدف البحث الى التعرف على الصورة النمطية التي يرسمها اولئك الشباب للشخصية العربية بشكل عام وللشخصية اليهودية الاسرائيلية. وهذه النظرة، أو الصورة، تعكس مدى تعصب الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية للشخصيات المذكورة (أو ضدها)، وكذلك المسافة الاجتماعية التي تفصلهم عنها.

* استاذ مشارك ورئيس دائرة علم الاجتماع والإنسان في جامعة بيرزيت.

يقدم الكاتب شكره الى طلبته في مساق اساليب البحث الاجتماعي الذي طرح في العام الدراسي 93/ 1994 على مساعدتهم في إنجاز هذا البحث.

اطار نظري

كثيرا ما يطغى التعصب على العلاقات بين الجماعات الاثنية (عرقية، قومية، دينية... الخ). والتعصب (prejudice) هو ظاهرة اجتماعية مستمرة. ففي العصور القديمة كان اليونانيون يعتقدون انهم وحدهم الجديرون بالحرية والسيادة، وان الجماعات الاخرى ليس لها إلا الخضوع والطاعة لهم (بدوي 182,1988). وفي الوقت الحاضر، يميز التعصب الكثير من العلاقات الاثنية في العالم، كالعلاقات بين العرب واليهود في فلسطين، بين البيض والسود في الولايات المتحدة، وبين الصرب والمسلمين السلافيين في يوغسلافيا سابقا... والقائمة طويلة. وعرف Michael Banton التعصب بأنه «موقف (أو اتجاه) سلبي وعدائي نحو جماعة معينة أو نحو أعضائها» (Man 1983, 302). ويتفق العديد من علماء النفس والاجتماع مع هذا التعريف. ففي «المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية» الذي قام بتأليفه نخبة من أساتذة قسم الاجتماع في جامعة الاسكندرية (ب ت ، 345) تم أيضا تعريف التعصب بأنه «اتجاه سلبي نحو جماعة معينة أو نحو أعضائها». من ناحية ثانية، فإن التعصب لا يقتصر على جانب الرفض لأعضاء جماعة ما، ولكنه يمتد ليشمل جانب القبول أيضا. فقبول جماعة معينة قد يكون تعصبا لتلك الجماعة. وفي ضوء هذه النظرة يمثل التعصب قطبين متضادين: احدهما القبول المطلق والآخر الرفض المطلق (الفيصل 1995، 116).

ويدخل التعصب في الأدبيات السيكولوجية والسوسيولوجية، أيضا، ضمن موضوع «المسافة الاجتماعية» أو «البعد الاجتماعي» (social distance)، والذي يشير الى درجة القبول أو الرفض، التقارب أو التباعد، التي يشعرها أفراد جماعة معينة تجاه أفراد جماعة أخرى. وكان قد استخدم مفهوم «المسافة الاجتماعية» عالم الاجتماع الاميركي Robert Park (1924) ليشير به الى درجة الالفة (intimacy) التي تسود بين الجماعات أو الأفراد في الولايات المتحدة. إلا ان استخدام هذا المفهوم قد انتشر بعد ان وضع Bogardus (1933/ 1925) «مقياس المسافة الاجتماعية». ويتكون هذا المقياس من عدد من الأسئلة تقيس مدى قبول الشخص الدخول في علاقات اجتماعية مختلفة مع أفراد جماعة أخرى (الزواج منهم، مصادقتهم، مجاورتهم في السكن، العمل معهم في المهنة نفسها، قبولهم مواطنين في بلده، قبولهم زائرين في بلده، والسماح لهم بدخول بلده).

ويتميز التعصب، و«المسافة الاجتماعية» ايضا، بوجود ما يمكن تسميته بالعربية صوراً نمطية أو أفكارا مقولبة أو آراء مسبقة (stereotypes). ومصطلح «ستيريوتايب» مستمد من لغة تكنولوجيا الطباعة، وهو في الأصل اللوح المعدني الذي يستخدم في طبع آلاف النسخ أو الصور المتطابقة من دون حاجة الى تغييره (بركات 1980، 104). وكان المعلق السياسي الاميركي الشهير «والترليبمان» أول من أدخل تعبير «الستيريوتايب»الى العلوم الاجتماعية، حينما استخدمه في كتابه «الرأي العام» الذي صدر سنة 1922. وعرف ليبمان «الستيريوتايب» بأنه «الصورة الذهنية المشتركة التي تحملها مجموعة من الأفراد، والتي تتكون غالبا من رأي مبسط أو ناقص أو مشوه، أو قد

تتمثل في موقف عاطفي تجاه شخص أو قضية أو حدث ما (بركات 1980). ويمكن القول ان «الستيريوتايب» في العلوم الاجتماعية هو صورة ذهنية، أو فكرة، مبسطة ومعممة على كل أفراد جماعة ما، وهي تتجاهل الفروق الفردية بينهم. ويرى Simpson and Yinger ان هذه الصور النمطية تبالغ في بعض الصفات الواقعية، المستحبة أو غير المستحبة، ولكنها تشمل صفات أخرى كاذبة كليا، مع انها تبدو صادقة ظاهريا، بسبب ارتباطها بميول واقعية (Geschwender 1980, 62). لذلك، فإن الصورة النمطية لا تعكس بالضبط صفات أصحابها، ومصداقيتها «قد لا تتعدى مصداقية كاريكاتير» (بنيامين 1980، 15)، وهي، من وجهة نظر بانتون، بحاجة الى تصحيح (Man 1983, 378).

وتتأثر الصور النمطية التي يحملها الشخص بالثقافة، وبشكل خاص بوسائل الإعلام والمؤلفات الادبية، السائدة في مجتمعه. فمثلا، ترجع سالم (1989,78_82) صورة العرب السلبية في الغرب الى محددات (أو عوامل) تاريخية ومحددات ثقافية وحضارية. وأهم المحددات التاريخية هي الحروب الصليبية، وما نتج عنها من تشويه للصورة العربية في اوروبا. فالمؤلفات الغربية عن هذه الحروب ترسم صورة قاتمة للعربي الذي يبدو فيها متعصبا ومضطهدا للمسيحيين (Francois 1887, 195 - 255; Selton 1958 52 - 31). أما المحددات الثقافية والحضارية فأهمها المؤلفات العدائية، عن الإسلام والعرب، التي وضعها العديد من المستشرقين (ليس كلهم بالطبع). فالقرآن في كثير من هذه الكتابات ليس تنزيلا إلهيا بل من تأليف محمد، وهو مليء بأفكار غريبة عن الجن والملائكة (Wollaston 1905, 17; Poala, 1882, 9 - 12). والمحمدية (أي الاسلام) هي ديانة تحتوي على أفكار بربرية وباطلة أدخلها محمد من أجل ان يسهل انتشار معتقداته المذهبية (Smith 493 - 492 1912). والمسلمون يرفضون التفكير العقلاني والأخلاقي النفعي (Gibb 1947,7). والعربي، عبر القرون كلها، لم يشتر حكمة من التجربة، فهو غير آمن أبدا (Bell 1907, 244). واستمر التعصب ضد العرب في كثير من الكتابات الغربية المعاصرة، التي تصور العرب بأنهم راكبو جمال، ارهابيون، معقوفو الأنوف، شهوانيون، شرهون، تمثل ثروتهم غير المستحقة إهانة للحضارة الحقيقية (سعيد 131,1981). فمثلا، وضعت ايميت تيرل اطروحة تقول ان العرب أساسا قتلة، وان العنف والخديعة محمولان في المورثات العربية (Tyrell 38 - 35 ,1976). وكتب هارولد غليدن، في مقال له عن العالم العربي، ان العرب عدوانيون، والانتقام لديهم فضيلة (Glidden 1972, 948 - 984). وتبنى مورو برغر فكرة تقول ان العرب عاجزون عن الفعل بسبب ميلهم للخطابة (Berger 1964, 141). هذه الكتابات المشوهة تطغى على الصحافة والعقل الشعبي في الغرب (سعيد 1981) وتخلق لدى الإنسان الغربي العادي صورة سلبية للعرب والمسلمين.

والصور النمطية تبقى شبه ثابتة في الأوضاع العادية. فهي تغرس في الثقافة، وتتغير ببطء، وتنتقل بالطريقة التي تنتقل بها المعتقدات الثقافية الأخرى (Geschwender 1980, 62). ونحن بشكل عام، كما يقول بركات، نقاوم اجراء تغييرات كبيرة المدى في هذه الصور أو الأفكار التي نحملها، ذلك لأن أي تغيير أو زعزعة في صرحنا الذهني سيؤدي بالضرورة الى إعادة تقييمنا لأنفسنا وجماعاتنا وحياتنا (بركات 1980،107). من ناحية ثانية، فقد تتغير

الصور النمطية نتيجة لاحداث كبيرة تهز المجتمع، كالحروب التي تجعل الأفراد يرون العالم في ضوء جديد أو من زاوية جديدة. ففي دراسة أجرتها نادية سالم (1978) على صور العرب والاسرائيليين في الصحف الاميركية، تبين ان حرب حزيران 1967 أظهرت سمات سلبية للشخصية العربية (فالعربي يشعر بالدونية، فاقد الثقة بنفسه، تفكيره غيبي، كاذب، وارهابي) وصفات ايجابية للشخصية الاسرائيلية (فالاسرائيلي شجاع، واثق من نفسه، متحضر، وتفكيره علمي). أما بعد حرب اكتوبر عام 1973، فقد تحسنت صورة العربي في الصحافة الاميركية، وظهرت له سمات ايجابية (واثق من نفسه، متحضر، وتفكيره علمي). وتراجعت صورة الاسرائيلي في هذه الصحافة، فظهرت له سمات سلبية (مضطهد، يشعر بالدونية، ويحس بالعزلة) (حاتم 1980، 191 ـ 192). كما ان البيانات التي جمعت عن صورة الصيني لدى الهنود تشير الى تغير هذه الصورة بعد تأزم النزاع الحدودي بين البلدين في أوائل الستينات. فقبل اندلاع النزاع اعتبر الصيني، في نظر الهنود، ودودا، أمينا، قوميا، شجاعا، متحضرا،و عمليا. وبعد تأزم النزاع، واحتدام المواجهات العسكرية بين البلدين، تغيرت صورة الصيني في نظر الهنود فأصبح الصيني عدوانيا، مخادعا، أنانيا، مثيرا للحرب، قاسيا، عنيفا، وأحمق. (Secord and Backman 1974, 167).

وهنالك تفسيرات عدة للتعصب ولظهور الصور النمطية، أهمها تفسيران رئيسيان: تفسير نفسي وتفسير اجتماعي. والتفسير النفسي يرجع التعصب والصور النمطية الى عوامل نفسية (مثل الخوف والقلق والشعور بالنقص والإحباط)، أو كما يقول الفيصل (117,1995) الى خلل في التكوين النفسي للأفراد. فالشخص الذي يعاني من مركب خوف أو نقص أو إحباط قد يستعين بالصور النمطية للتخفيف من حدة هذا الخلل النفسي. وتختلف التفسيرات النفسية في ما بينها، إلا ان أهمها يرتبط بنظرية «كبش الفداء» التي تركز على وجود ضعف لدى الأفراد، يجعلهم عاجزين عن تحقيق أهدافهم الاجتماعية والاقتصادية. وبدلا من البحث عن الأسباب الحقيقية لهذا الفشل، فإنهم يتهمون أفراد الجماعات الاخرى بأنهم السبب في ذلك. وهؤلاء الأفراد المستهدفون هم كبش الفداء الذي يريحهم من التوتر الناتج عن فشلهم. ويشدد التفسير النفسي على ان العوامل النفسية المتعلقة بالشخصية هي أكثر تأثيرا على الصور النمطية من العوامل الاخرى. فالشاب الذي يتربى في بيت سلطوي هو أكثر عدوانية في تعامله مع الآخرين وأكثر ميلا لحمل صور نمطية ضدهم من الشاب الذي ينشأ في بيت ديمقراطي (Geschwender 1980, 67 - 68). من ناحية أخرى، فإن التفسير النفسي لا يفسر التباين الكبير في التعصب بين مجتمعات مختلفة، أو في المجتمع نفسه بين فترات زمنية مختلفة. ويعود ذلك الى إهماله متغيرات تتعلق بالمجتمع أو الجماعة (Quillian 1995, 88).

أما التفسير الاجتماعي للتعصب وللصور النمطية، وللبعد الاجتماعي بشكل عام، فيركز على علاقة الجماعة الأخرى بجماعة الفرد. فيرى بعض العلماء ان التفاوت في المكانة والقوة بين جماعتين يخلق شعورا بالتعصب، ولاسيما لدى أفراد الجماعة المسيطرة، فمثلا، ينظر الأسياد الى العبيد باعتبارهم كسلى وغير مسؤولين وغير مبادرين. وتظهر هذه الأفكار لأن العبيد يعملون بموجب أوامر أسيادهم، فهم محرومون من فرصة إظهار أي

مبادرة أو مسؤولية (Secord and Backman 1974, 166). وفي تحليلهم لعلاقة الجماعة الاخرى بجماعة الفرد، يركز علماء آخرون على مدى تهديد الجماعة الاخرى لجماعة الفرد. فينظر الفرد الى جماعة، أو جماعات، أخرى من منطلق تأثيرها المحتمل على جماعته. فهو يتقرب من افراد جماعة ما بقدر ما يرى وما يتوقع من دعم هذه الجماعة لجماعته. كما انه يبتعد عن أفراد تلك الجماعة بقدر ما فيها من تهديد لجماعته (الفيصل 1995, 116). ويفسر Quillian (1995) تعصب أفراد الجماعة المسيطرة ضد الجماعة الخاضعة، أيضا، بسبب تهديدات تلك الجماعة لها. فالتعصب، من وجهة نظره، هو رد فعل دفاعي ضد التحدي، الصريح أو الضمني، لامتيازات الجماعة المسيطرة. وكلما زاد التهديد، الحقيقي أو المدرك، لامتيازات الجماعة المسيطرة زاد تعصب أفراد هذه الجماعة ضد المهددين لها من الخارج. ويزيد تهديد الجماعة الخاضعة (للجماعة المسيطرة) مع ازدياد حجمها النسبي، بسبب تعزز التعبئة السياسية فيها، من ناحية، وازدياد التنافس بين الجماعتين على الموارد النادرة، من ناحية ثانية. كما يزيد التهديد، في نظر افراد الجماعة المسيطرة، مع تردي الأوضاع الاقتصادية في المجتمع الواسع، بسبب اتهام الجماعة المسيطرة للجماعة الخاضعة بأنها سبب الأزمة (كبش فداء)، وازدياد التنافس على الموارد النادرة ايضا (Quillian 1995, 88 - 99).

ويمكن القول ان التفسير النفسي للتعصب وللصور النمطية يركز على العوامل النفسية للفرد، الذي يستعين بهذه الصور للتخفيف من حدة الخلل النفسي لديه أو للتعويض عن عجزه وضعف شخصيته. فعجز اليهود الشرقيين في اسرائيل عن الوصول الى مستوى اليهود الغربيين، اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، يدفعهم الى تعزيز تعصبهم وعدوانيتهم ضد المواطنين العرب. أما التفسير الاجتماعي فيركز على البناء الاجتماعي للجماعة التي ينتمي إليها الفرد، وعلى مدى تهديد أو دعم الجماعة الأخرى، موضوعيا أو ذاتيا، لهذا البناء. أي ان تهديد الجماعة الاخرى لجماعة الفرد، سواء كان التهديد بنائيا أو قيميا، يزيد من تعصبه ضدها. فأحد الأسباب الرئيسية لتعصب اليهود في اسرائيل، شرقيين وغربيين، ضد المواطنين العرب، هو تصور اليهود ان العرب في اسرائيل يشكلون تهديدا للمجتمع الاسرائيلي وخطرا على أمن الدولة اليهودية. ونحن نرى ان أيا من هذين التفسيرين لا يفسر لوحده جميع حالات التعصب والصور النمطية، وان تبني احدهما يجب أن لا يرافق بالتقليل من أهمية الآخر.

صور الذات والآخر في العلاقات العربية اليهودية

لقد أجريت في اسرائيل عدة دراسات على صور الذات والآخر في نظر الشباب الاسرائيلي. ففي عام 1965 أجرى كلمن بنيميني، وهو عالم نفس في الجامعة العبرية في القدس، بحثا على صور الاسرائيلي والاميركي والالماني والعربي في نظر طلبة مدارس ثانوية يهودية. ووجد بنيميني ان صورة الاسرائيلي هي إيجابية، فالاسرائيلي يتسم بأنه إيجابي، اجتماعي، ذكي، رجولي، متفائل، يعترف بالجميل، جماعي، جيد، واسع الأفق، عادي، جديد، في الوقت المناسب، جميل، منتصب، سريع، صحي، قوي، نشيط، ناجح، مهم

وحار. أما صورة العربي فكانت سلبية، وباستثناء اعتداله بصفتي الرجولة والحرارة فإنه يتسم بالصفات السلبية الآتية: قديم جدا، ثقيل، شديد، صعب، ناكر للجميل، أناني، سلبي، سيئ، ضيق الأفق، ليس في الوقت المناسب، قبيح، أحدب، قصير، بطيء، راكد، غير ناجح، وغير مهم. (بنيميني 363,1969). ومن الجدير ذكره ان صورة الاميركي كانت الأكثر إيجابية، تليها صورة الاسرائيلي، ثم صورة الالماني وأخيرا صورة العربي. وهكذا فإن الشباب الاسرائيلي يحمل صورة للعربي أسوأ من الصورة التي يحملها للألماني. وقد يعود ذلك، بالأساس، الى معاصرة هؤلاء الشباب للصراع العربي الاسرائيلي وعدم معاصرتهم لفظائع النازية ضد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية.

وهكذا، فإن صورة العربي السلبية تعود بالأساس الى تصور اليهود ان العرب، والمواطنين العرب في اسرائيل ايضا، يريدون القضاء على الدولة اليهودية. هذا فضلا عن ان وسائل الإعلام الاسرائيلية مليئة بالتصريحات والكتابات العنصرية المعادية للعرب، التي يطلقها بعض الكتاب والزعماء الاسرائيليين. من هذه التصريحات نذكر مثلا تصريح رفائيل ايتان زعيم حركة «تسومت» اليمينية الذي وصف العرب «كصراصير يجب إبادتها». كذلك فإن الأدب العبري، الذي يدرسه الطلبة اليهود، يعرض صورة سلبية للعرب. فمثلا، يشير الكاتب موشيه سطابيسكي في رواية له الى «ان العرب لا يعرفون أصول النظافة والوقاية الصحية، وان عادة الاستحمام غير مألوفة لديهم باستثناء غسل بعض أعضاء الجسم من أجل الصلاة. كما ان غسل اليدين بعد تناول الطعام يقتصر على بعض الأفراد فقط». أما الكاتب موشيه شمير فيعرض صورة مضحكة عن العربي الذي يستحم فيقول «ما زلت أذكر تلك الساعة عندما رأيت عامل البحر العربي وهو يغتسل، فقد فتح صنبور الماء وأدخل قليلا من الماء الى فمه، ثم أدخل أصابع يده في فمه وأخذ يفرك أسنانه، ثم تناول بعد ذلك حفنة من الرمل والوحل وأخذ يفرك بها جسده لمدة طويلة» (ابو عيطة 1988, 7–10). وهكذا فإن صورة العربي المشوهة، كما تنعكس بوسائل الإعلام والأدب العبري، تغذي المواقف العدائية التي يحملها الشباب الاسرائيلي ضد العرب.

ولمعرفة مدى تغير صورة الذات والآخر في نظر الشباب الاسرائيلي، كرر بنيميني دراسته في أوقات مختلفة (أعوام 1968 و1974 و1979و1990و1994). ووجد الباحث انه في أعقاب حرب حزيران (يونيو) عام 1967 أصبحت صورة الاسرائيلي أكثر إيجابية (ارتفع التقييم الاجمالي المتوسط من 5,0 الى 5,5 على سلم يتكون من 7 درجات) وصورة العربي أكثر سلبية (انخفض التقييم من 4,3 الى 1,3). أما بعد حرب اكتوبر عام 1973 فعادت صورة الاسرائيلي الى ما كانت عليه قبل حرب حزيران 1967 (تقييم متوسط 5,0)، وتحسنت قليلا صورة العربي (تقييم متوسط 3,7)، الأمر الذي أدى الى تقلص الفجوة بين الصورتين. وفي عام 1979، وبعد التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر واسرائيل، لم يحدث تغيير أساسي على صورة الاسرائيلي والعربي بالمقارنة مع عام 1974 (التقييم المتوسط للإسرائيلي 5,0 وللعربي 3,6) (بنيميني 1980، 69 ـ 70). وفي الانتفاضة هبطت أكثر صورة العربي في نظر الشباب الاسرائيلي (تقييم متوسط 3,0).ويؤكد الباحث الاسرائيلي بنيميني ان هذه الصورة تحسنت قليلا وعادت الى وضعها السابق في أعقاب الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي (تقييم متوسط 3,5 في عام

1994) (مقابلة شخصية مع بنيميني بتاريخ 2/4/1995).

مما تقدم يتضح ان صور الذات والآخر لدى الشباب الاسرائيلي تتأثر بأحداث وتطورات عسكرية وسياسية مختلفة. فصورة العربي لدى الاسرائيليين هي سلبية بمجملها، لكنها في ضوء أحداث معينة أصبحت أكثر سلبية وفي ضوء أحداث أخرى أصبحت أقل سلبية.

ومع ان الفروق ضئيلة في نظر الاسرائيليين بين صور العربي من هذه الدولة أو تلك، فإن أبحاث بنيميني الأخيرة تشير الى ان صورة العربي داخل اسرائيل أقل سلبية من صور بقية العرب. كذلك فإن صورة العربي المصري، منذ اتفاقيات كامب ديفيد، أصبحت أقل سلبية من صورة الفلسطيني من الضفة والقطاع، ومن صورة العربي السوري (بنيميني, 1980, 37 – 72).

هذه الصورة السلبية للعربي تجعل الاسرائيليين يرفضون ربط علاقات اجتماعية مع العرب، وحتى مع المواطنين العرب في اسرائيل. فهنالك عدد من الدراسات التي أثبتت ان أغلب الاسرائيليين ليسوا على استعداد لمصادقة عرب أو لمجاورة عرب، أو للعمل في مكتب واحد مع عرب (Hofman 1972; Peres, 1971, Smooha 1992). وأثبتت بعض هذه الدراسات ان أغلب اليهود لا يثقون بالمواطنين العرب في اسرائيل، بل يعتبرونهم خطرا على الدولة ويؤيدون فرض قيود أمنية عليهم (Smooha 1992, 145). كذلك فإن أغلب الشباب الاسرائيلي يتحفظ اليوم من عملية السلام وبشكل خاص مع الفلسطينيين، ويفضل بقاء المستوطنات اليهودية في المناطق المحتلة على السلام مع الفلسطينيين، ويؤيد أيضا تهجير الفلسطينيين الى الخارج. (بنيميني 1994، 4 – 8).

بعد أن أوضحنا ان صورة العربي هي سلبية بمجملها في نظر الشباب الاسرائيلي، نتناول الآن صورة الاسرائيلي في نظر الشباب الفلسطيني. في عام 1972 أجرى يوحنان هوفمان، وهو عالم نفس في جامعة حيفا، بحثا على صور الذات والآخر لدى طلبة مدارس ثانوية عرب في اسرائيل وفي الضفة الغربية. وأظهر البحث ان صورة اليهودي الإسرائيلي لدى الشباب الفلسطيني، داخل اسرائيل، تحتل درجة متوسطة، وهي أفضل من الصورة التي يحملها الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية. فالفلسطيني داخل اسرائيل وصف اليهودي الاسرائيلي بأنه حكيم، متقدم، عملي، ثابت، متفائل، متحرر، سعيد وقوي. أما الفلسطيني في الضفة الغربية فوصف اليهودي بأنه حكيم، متقدم، ومتفائل من ناحية، وعنيد، أناني، وغير مستقيم من ناحية ثانية. (هوفمان 1974، 319). هذا يعني ان شباب الضفة الغربية يحملون نظرات مزدوجة الى اليهودي الاسرائيلي، فهو إيجابي في صفاته الذهنية لكنه سلبي في تعامله مع الآخرين. وهكذا، فإن صورة الاسرائيلي لدى الشباب الفلسطيني، حتى في الضفة الغربية، هي أفضل من صورة العربي لدى الشباب الاسرائيلي. لذلك ليس غريبا ان يكون الفلسطينيون، وبشكل خاص المتواجدون داخل اسرائيل، أكثر استعدادا من اليهود للتعايش مع الطرف الآخر وربط علاقات اجتماعية معه (Mi' ari 1989).

وبعد بحث هوفمان عام1972، لم تجر أبحاث جديدة، حسب معرفتنا المتواضعة، على صور الذات والآخر لدى الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية. وفي ضوء التطورات السياسية الأخيرة، وبشكل خاص الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي، رأينا انه من المفيد ان ندرس الصور التي يحملها الشباب الفلسطيني لذاته وللآخر، وبخاصة للعربي والفلسطيني والاسرائيلي.

أسلوب البحث

أ ـ مشكلة البحث: في هذا البحث سنحاول الاجابة عن الأسئلة الآتية:

1 ـ ما الصورة التي يرسمها الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية لذاته ولبعض الشخصيات الأخرى (الفلسطيني، العربي، واليهودي الاسرائيلي)؟

2 ـ هل تختلف صورة الفلسطيني في الضفة الغربية عن صورة الفلسطيني في قطاع غزة وعن صورة الفلسطيني داخل اسرائيل؟

3 ـ هل تتأثر الصورة ببعض المتغيرات الأساسية، مثل الجنس ومكان السكن ودخل الأسرة والتدين والتسيس والانتماء الحزبي؟

4 ـ هل تؤثر الصورة التي يحملها الشاب الفلسطيني للشخصية اليهودية على استعداده للتعايش مع اليهود الاسرائيليين؟

ب ـ المتغيرات وقياسها: المتغير الرئيسي في هذا البحث هو الصورة التي يحملها الشاب الفلسطيني على ذاته وعلى كل شخص ممن يلي: العربي من الضفة الغربية، العربي من قطاع غزة، العربي داخل إسرائيل، العربي بشكل عام، واليهودي الإسرائيلي. وصورة كل شخص تم قياسها بواسطة تقييم ذلك الشخص حسب ثلاث صفات ونقائضها: عقلاني وغير عقلاني، شجاع وغير شجاع، وعدواني وغير عدواني. وكل صفة ونقيضها تدرجا على خمسة خيارات. فمثلا عقلاني وغير عقلاني تدرجا كالآتي: غير عقلاني بالمرة، غير عقلاني، عقلاني نوعا ما، عقلاني، وعقلاني جدا. وبطريقة متشابهة تم تدريج الصفتين الأخريين.

وقد اختيرت الصفات الثلاث المذكورة لتمثل جوانب مختلفة في الشخصية. فالعقلانية تشير الى السلوك الذهني للشخص، والعدوانية الى تعامله مع الآخرين، والشجاعة الى قبوله اجتماعيا. وتم احتساب صورة اجمالية لكل شخصية بواسطة جمع تقييمات الشخصية على الصفات الثلاث وقسمة حاصل الجمع على ثلاثة (عدد الصفات).

وتم قياس الاستعداد للتعايش مع اليهود بواسطة الأسئلة الآتية:

ـ هل أنت مستعد (أو مستعدة) للعمل في مكتب واحد مع يهود؟

ـ هل أنت مستعد (أو مستعدة) لمصادقة يهود (لزيارتهم في بيوتهم وزيارتك في بيتك)؟

ـ هل انت مستعد (أو مستعدة) للسكن في بيت جيرانه يهود؟

ـ هل أنت مستعد (أو مستعدة) للزواج من يهودية (أو يهودي)؟

وأما الاجابات عن هذه الأسئلة فتدرجت على خمسة خيارات: غير مستعد بالمرة، غير مستعد، مستعد نوعا ما، مستعد، طبعا مستعد. وكذلك تم احتساب صورة اجمالية لكل شخصية: فقد احتسب الاستعداد الاجمالي للتعايش مع اليهود بواسطة جمع درجات الاستعداد في الميادين الاربعة (العمل، المصادقة، المجاورة، والزواج)، وقسمة حاصل الجمع على اربعة.

وهنالك بعض المتغيرات المتعلقة بالخلفية الاجتماعية للشخص (background variables) وهي: الميل السياسي والتسيس والتدين وعدد الساعات المعتمدة ومستوى تعليم والدي الطالب ودخل اسرته.

والميل السياسي تم قياسه بواسطة السؤال: «لو جرت اليوم انتخابات عامة للمجلس الفلسطيني وشاركت فيها كل الفصائل والأطر السياسية الفلسطينية، لمن تصوت؟». وصنفت الاحزاب والفصائل المختلفة الى اربعة تيارات رئيسية هي: المستقلون، الاسلاميون (مؤيدو حماس والجهاد الاسلامي)، مؤيدو منظمة فتح (التي يتزعمها السيد ياسر عرفات)، والماركسيون (مؤيدو الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية وحزب الشعب).

وتم قياس التسيس بواسطة سؤالين: «هل اعتقلت خلال الانتفاضة؟» و«هل أصبت من قبل قوات الاحتلال خلال الانتفاضة؟». والمسيس في هذا البحث هو الذي اعتقل و/أو أصيب خلال الانتفاضة. ومن الواضح ان هذا التعريف الاجرائي للتسيس لا يشمل الطلبة المسيسين، الذين لم يعتقلوا ولم يصابوا خلال الانتفاضة. وحيث ان نسبة هؤلاء قليلة، كما نعتقد، فيبقى صدق هذا التعريف مقبولا.

وتم قياس التدين بواسطة السؤال: «هل تصلي؟». وكان على المبحوث ان يختار أحد الخيارات الاربعة الآتية: لا يصلي بالمرة، يصلي بعض الأوقات، يصلي أغلب الأوقات، ويصلي كل الأوقات.

وتم قياس مكان السكن بواسطة السؤال المباشر «أين تسكن؟»، وكان على المبحوث ان يختار أحد الخيارات الثلاثة الآتية: مدينة، قرية، ومخيم. وعدد الساعات المعتمدة تم قياسه أيضا بواسطة سؤال مباشر «كم عدد الساعات المعتمدة التي تنهيها مع نهاية هذا الفصل؟». وأقفل هذا السؤال بواسطة الفئات الآتية: حتى 30 ساعة، 31 ـ 60، 61 ـ 90، 91 ـ 120، 121 ساعة فأكثر. أما متغير مستوى تعليم الاب ومستوى تعليم الأم فقد تم قياسهما بواسطة السؤال «ما هو عدد سنوات الدراسة التي أنهاها الأب؟» و«ما هو عدد سنوات الدراسة التي أنهتها الأم؟». وتم إقفال هذين السؤالين كالآتي: 0 ـ 3 سنوات، 4 ـ 6، 7 ـ 9، 10 ـ 12، 13 سنة فأكثر. وأخيرا تم قياس دخل الاسرة الشهري بواسطة السؤال المباشر «ما هو الدخل الشهري لأسرتك بالدينار (من جميع مصادر الدخل)؟». وتم

إقفال السؤال بواسطة 9 فئات تبدأ بـ «أقل من 200 دينار» وتنتهي بـ «900 دينار فأكثر».

ج ـ العينة: تم جمع البيانات على عينتين عشوائيتين من طلبة جامعة بيرزيت. العينة الأولى شملت 226 طالبا وطالبة (حوالي 12% من مجموع طلبة الجامعة في الفصل الأول للعام الدراسي 93/1994)، وتم جمع البيانات عليها في شهر كانون الثاني (يناير) 1994. والعينة الثانية شملت 270 طالبا وطالبة (حوالي 11% من مجموع طلبة الجامعة في الفصل الثاني من العام الدراسي نفسه)، وتم جمع البيانات عليها في شهر حزيران (يونيو) 1994.

في البداية تقرر اجراء البحث على العينة الأولى فقط. ولكن، وبعد البدء بتطبيق الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي ودخول قوات الشرطة الفلسطينية منطقتي غزة وأريحا في شهري أيار وحزيران (مايو ويونيو) عام 1994، تقرر إعادة البحث على عينة ثانية لمعرفة إذا ما حدث تغيير على سلوك الطلبة السياسي، وبشكل خاص مواقفهم من حل النزاع الفلسطيني الاسرائيلي. وقام بعملية جمع البيانات من أفراد العينتين طلبة مادة «اساليب البحث الاجتماعي»، الذي درسه الكاتب في الفصلين الأول والثاني للعام الدراسي 93/1994.

ومن الجدير ذكره ان العينتين المذكورتين عشوائيتان منتظمتان، وقد تم اختيارهما بواسطة الكمبيوتر من مكتب التسجيل والقبول في الجامعة. هذا يعني ان العينتين ممثلتان لطلبة الجامعة، وربما لطلبة الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية.

وفي ما يلي نوضح بعض خصائص العينة الاجمالية، أي مجموع طلبة العينتين بعد دمجهما:

الجنس: يشكل الذكور 63% من العينة والإناث 37%. الديانة: يشكل الطلبة المسلمون 86,8%، والمسيحيون 11,6%، و«غير ذلك» 1,6%. مكان السكن: يسكن 48,8% من الطلبة في مدن، 40,3% في قرى، و10,9% في مخيمات لاجئين. كذلك المنطقة الجغرافية: يسكن 54,4% من الطلبة في منطقة الوسط (رام الله، القدس، بيت لحم)، 24,5% في منطقة الشمال (نابلس، جنين، طولكرم)، 9,7% في منطقة الجنوب (الخليل) و11,4% في قطاع غزة. أما مهنة الأب: فيعمل 18,9% من آباء الطلبة مزارعين، 20,8% عمالا، 33,6% موظفين أو أصحاب مهن جامعية، 24% تجارا، و2,6% «غير ذلك».

وهكذا، فإن توزيع العينة حسب الديانة ومكان السكن يقترب كثيرا من توزيع مجموع السكان حسب هذين المتغيرين. وتوزيع العينة حسب المنطقة الجغرافية يوضح انه، وعلى الرغم من التمثيل الزائد لمنطقة الوسط في العينة، فإن بقية المناطق ممثلة ايضا فيها. أما توزيع آباء الطلبة حسب مهنهم، فإنه يوضح ان الآباء المزارعين ممثلون في العينة تقريبا وفق نسبتهم في القوى العاملة. كذلك، فإن بقية الطبقات ممثلة بشكل أو بآخر في العينة; فالآباء العمال ممثلون فيها بحوالي نصف نسبتهم، والموظفون والتجار بحوالي ضعفي نسبتهم، بين القوى العاملة. وهكذا، فإن هذه الخصائص للعينة تجعلنا نفترض ان نتائج هذا البحث يمكن تعميمها ليس فقط على

بقية الطلبة وإنما، الى حد ما، على مجموع السكان البالغين أيضا.

د ـ تحليل البيانات: بسبب عدم وجود فروق أساسية في موضوع البحث، بين عينتي كانون ثاني (يناير) وحزيران (يونيو) 1994، تقرر دمج العينتين وتحليل بياناتهما معا.

ويرتكز التحليل على مقارنة التقييمات المتوسطة (أوساط حسابية) للشخصيات المختلفة وعلى فحص ارتباطات هذه التقييمات (معاملات ارتباط «بيرسون») بعدد من المتغيرات.

النتائج

أ ـ صور الذات والآخر: يعرض جدول رقم (1) الصور المتوسطة للذات والآخر في نظر طلبة جامعة بيرزيت. ويتضح من هذا الجدول ان الشاب الفلسطيني يقيم ذاته بشكل إيجابي. فهو يعتبر نفسه عقلانيا وشجاعا وغير عدواني. ومن الجدير ذكره ان هذه الصفات ايجابية في نظر الشاب الفلسطيني ايضا، فهو يحب ان يكون عقلانيا وشجاعا وغير عدواني. هذا يعني ان الشاب الفلسطيني راض عن شخصيته فهو ينسب إليها صفات محببة وربما مثالية. ويعتقد ان هذه ظاهرة عامة، فأغلب الناس يقيمون أنفسهم إيجابيا.

جدول رقم (1)
صور الذات والآخر في نظر طلبة جامعة بيرزيت حسب المنطقة الجغرافية التي جاء منها الطلبة، 1994 (أوساط حسابية)*

	عقلاني			شجاع			غير عدواني (أو مسالم)		
	مجموع	الضفة	غزة	مجموع	الضفة	غزة	مجموع	الضفة	غزة
أنت كما تحب أن تكون	+4,4	+4,3	+4,6	+4,4	+4,4	+4,5	+4,2	+4,2	+4,4
أنت في الواقع	+3,8	+3,7	+3,8	+3,5	+3,5	+3,5	+4,0	+4,1	+3,9
عربي من الضفة الغربية	+3,2	+3,2	+3,5	+3,7	+3,8	+3,4	+3,5	+3,5	+3,7
عربي من قطاع غزة	2,9	2,9	+3,1	+4,2	+4,2	+4,3	+3,0	+3,0	+3,1
عربي من إسرائيل	+3,1	+3,0	+3,3	2,6	2,6	2,6	+3,7	+3,6	+3,7
عربي بشكل عام	2,8	2,8	2,8	2,7	2,7	2,6	+3,5	+3,4	+3,6
يهودي من إسرائيل	+3,4	+3,3	+3,7	2,2	2,2	2,4	-1,9	-1,9	-1,8

* كل صفة تدرجت الى خمسة خيارات، 1 مثل السلب (غير عقلاني بالمرة، غير شجاع بالمرة، وعدواني جدا) وخيار 5 مثل الايجاب (عقلاني جدا، شجاع جدا، وغير عدواني بالمرة).

الاشارات التي تسبق بعض الأرقام تمثل اتجاه التقدير وقوته كما يلي:

حتى 2.0 (تقدير سلبي) –

2,1 – 2.9 (تقدير متوسط)

3.0 فأكثر (تقدير إيجابي) +

ويتضح من جدول رقم (1) ايضا ان صورة الفلسطيني، في نظر طلبة جامعة بيرزيت، هي أكثر إيجابية من صورة العربي بشكل عام، ومن صورة اليهودي الاسرائيلي. مع ذلك، فهنالك بعض الاختلاف في صورة الفلسطيني من التجمعات الفلسطينية الثلاثة، الضفة الغربية وقطاع غزة واسرائيل. فصورة الفلسطيني من الضفة الغربية (عقلاني وشجاع وغير عدواني) هي الأكثر ايجابية، تليها صورة الفلسطيني من قطاع غزة (متوسط في عقلانيته، شجاع، وغير عدواني). وصورة الفلسطيني داخل اسرائيل (عقلاني، متوسط في شجاعته، وغير عدواني) هي الأقل إيجابية.

ومن الواضح ان صورة «العربي بشكل عام» أقل إيجابية من صورة الفلسطيني، وهي تميل الى الاعتدال. فالعربي متوسط في عقلانيته، متوسط في شجاعته، وغير عدواني. أما صورة اليهودي الاسرائيلي فهي الأقل إيجابية من صور الشخصيات المختلفة، فاليهودي عقلاني ومتوسط في شجاعته لكنه عدواني. هذه الصورة تنسجم مع صورة الاسرائيلي في نظر طلاب مدارس ثانوية عرب في الضفة الغربية، التي توصل إليها يوحنان هوفمان عام 1972 (حكيم ومتقدم ومتفائل لكنه عنيد وأناني وغير مستقيم). وهكذا، فإن صورة الاسرائيلي ليست سلبية بمجملها، ففيها صفات إيجابية (السلوك الذهني) وأخرى سلبية (التعامل مع الآخرين). ومن الجدير ذكره ان صورة اليهودي الاسرائيلي في نظر الشباب الفلسطيني، وهي صورة تميل الى الاعتدال، هي أفضل من صورة العربي، السلبية بمجملها، التي يحملها الشباب الاسرائيلي. قد يعني ذلك ان نظرة الشباب الفلسطيني الى الآخر هي أكثر واقعية، او اقل تعصبا، من نظرة الشباب الاسرائيلي.

ويستدل من جدول رقم (1) ايضا ان الطلبة القادمين من قطاع غزة لا يختلفون، بشكل أساسي، عن اخوانهم طلبة الضفة الغربية في تقييمهم للشخصيات المختلفة. فكلا الفريقين يقيّم العربي ابن قطاع غزة بأنه أشجع وأكثر عدوانية وأقل عقلانية من ابن الضفة الغربية. ويعود تقييم ابن غزة بأنه أشجع وأكثر عدوانية الى اشتداد مقاومة الاحتلال الاسرائيلي في قطاع غزة عنها في الضفة الغربية خلال الانتفاضة. أما تقييم ابن الضفة الغربية بأنه أكثر عقلانية، فقد يعود الى ان سكان الضفة الغربية، بشكل عام، أكثر تحررا من بعض القيود والضوابط الاجتماعية الموروثة.

ب ـ الصور الاجمالية وارتباطاتها: بعد ان أوضحنا تقييم المبحوثين للشخصيات المختلفة، حسب كل صفة على انفراد، نوضح الآن الصور الاجمالية التي يحملونها لهذه الشخصيات. وتم احتساب الصورة الاجمالية نتيجة جمع تقييمات الشخصية على الصفات الثلاث (العقلانية، الشجاعة، وانعدام العدوانية) وقسمتها على ثلاثة (عدد الصفات). جدول رقم (2) يعرض الصور الاجمالية للشخصيات المختلفة حسب المنطقة الجغرافية، الجنس، مكان السكن، الميل السياسي، والتسيس.

جدول رقم (2)

الصور الاجمالية للذات والاخر في نظر طلبة جامعة بيرزيت حسب المنطقة الجغرافية والجنس ومكان السكن والميل السياسي والتسيس، 1994 (اوساط حسابية)*

		المنطقة		الجنس		مكان السكن			الميل السياسي				التسيس	
	المجموع	الضفة	غزة	ذكور	اناث	مدينة	قرية	مخيم	مستقلون	اسلاميون	فتح	ماركسيون	لم يعتقل ولم يصب	اعتقل و/أو اصيب
انت كما تحب ان تكون	4.3	4.3	4.5	4.3	4.4	4.4	4.3	4.4	4.2	4.4	4.3	4.3	4.3	4.3
انـــت فـي الواقـع	3.8	3.8	3.7	3.8	3.8	3.8	3.7	3.8	3.8	3.8	3.8	3.7	3.8	3.7
عربي من الضفة الغربية	3.5	3.5	3.6	3.5	3.5	3.5	3.5	3.5	3.5	3.5	3.5	3.4	3.5	3.5
عربي من قطاع غـزة	3.4	3.4	3.5	3.4	3.4	3.3	3.4	3.4	3.4	3.5	3.4	3.2	3.4	3.4
عربـي من اسـرائيل	3.1	3.1	3.2	3.1	3.1	3.0	3.1	3.3	3.2	3.1	3.1	3.1	3.1	3.1
عربـي بشـكل عـام	3.0	3.0	3.0	3.0	2.9	2.9	3.0	3.1	3.0	3.0	3.0	2.9	2.9	3.0
يهودي من اسـرائيل	2.5	2.5	2.6	2.5	2.5	2.6	2.4	2.7	2.7	2.1	2.5	2.6	2.5	2.5
العدد الاجمالي **	**496**	**437**	**56**	**311**	**183**	**242**	**200**	**54**	**74**	**61**	**164**	**98**	**323**	**173**

* الصورة الاجمالية في هذا البحث تساوي:

$$\frac{\text{درجة العقلانية} + \text{درجة الشجاعة} + \text{درجة انعدام العدوانية}}{3}$$

** حاصل جمع تكرارات المنطقة والجنس 493 و 494 على التوالي ، وهو لا يصل الى 496 (مجموع العينة) بسبب "عدم الاجابة" عن السؤال (missing data). أما حاصل جمع تكرارات متغير الميل السياسي فهو 397 فقط ، واستثنى الباقون (99 مبحوثا) بسبب كونهم فئة غير متجانسة سياسيا (25 شخصا لم يجيبوا عن السؤال ، 26 أجابو أنهم لن يشاركوا في عملية التصويت ، 39٪ أجابو انهم سيصوتون لاكثر من حزب واحد ، 5 سيصوتون لتنظيم "فدا" (المنشق عن الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين) و 4 أشخاص سيصوتون لجماعة "ابو موسى " (المنشقه عن فتح).

من الواضح ان الصفات الثلاثة (العقلانية، الشجاعة، وانعدام العدوانية) هي قيم محببة لدى الشباب الفلسطيني، فهو يحب ان يتحلى بهذه الصفات، ولذلك فهو يمنح ذاته المثالية، أي الذات كما يحب ان تكون، أعلى التقييمات الاجمالية (تقييم متوسط 4,3 على سلم مكون من 5 درجات). ويلي الذات المثالية من حيث التقييم الاجمالي، وحسب الترتيب، الذات الواقعية (تقييم 3,8)، عربي من الضفة الغربية (3,5)، عربي من قطاع غزة (3,4)، عربي داخل اسرائيل (3,1)، عربي بشكل عام (3,0)، وأخيرا يهودي اسرائيلي (2,5). وغني عن القول ان الفروق ضئيلة بين الصورة الاجمالية التي يحملها المبحوثون لابن الضفة الغربية ولابن قطاع غزة. كذلك، فإن الصورة الاجمالية التي يحملونها للفلسطيني داخل اسرائيل، هي أقل إيجابية من صورة الفلسطيني في الضفة والقطاع، وهي تقترب أكثر الى صورة العربي بشكل عام. يبدو ان اعتراف القيادة الفلسطينية بأن الفلسطينيين داخل اسرائيل هم مواطنون اسرائيليون، وليسوا موضوعا للمفاوضات عند التفاوض على الحل النهائي للقضية الفلسطينية، قد أسهم في رسم صورة مختلفة لهم في أذهان الشباب الفلسطيني في الضفة والقطاع.

هل تختلف الصور الاجمالية للشخصيات المختلفة، حسب متغيرات المنطقة والجنس ومكان السكن والميل السياسي والتسيس؟ يوضح جدول (2) انه لا توجد فروق كبيرة في الصور الاجمالية حسب هذه المتغيرات. ومع ذلك، يلاحظ ان الصورة الاجمالية التي يحملها الطلبة من ابناء المخيمات للعربي داخل اسرائيل (تقييم 3,3) هي أكثر إيجابية من الصورة التي يحملها الطلبة القادمون من المدن (3,0)، واولئك القادمون من القرى (3,1). ويعود ذلك الى العلاقات القرابية والتاريخية والثقافية التي تربط الفلسطينيين، الذين بقوا في اسرائيل بعد قيامها عام 1948، مع الفلسطينيين الذين نزحوا خلال الحرب الى منطقتي الضفة الغربية (التي ضمت في ما بعد الى الاردن) وقطاع غزة (الذي وضع تحت الإدارة المصرية). كما يلاحظ ان الصورة الاجمالية لليهودي الاسرائيلي التي يحملها طلبة المخيمات (2,7) هي أفضل من تلك الصورة التي يحملها الطلبة الآخرون، وبشكل خاص طلبة القرى (2,4). وقد يعود ذلك الى اختلاط أبناء المخيمات بالإسرائيليين أكثر من غيرهم، بسبب ازدياد نسبة العاملين في اسرائيل بين ابناء المخيمات منهم بين ابناء القرى والمدن. فعلى عكس القرى والمدن، حيث تتوفر بعض فرص العمل (في الأرض أو في المؤسسات التجارية والصناعية)، تكاد تنعدم فرص العمل داخل المخيم، فتتوجه أغلب الأيدي العاملة فيه للعمل داخل اسرائيل.

ويوضح جدول رقم (2) ان مؤيدي التيارات السياسية المختلفة لا يختلفون جوهريا في الصور الاجمالية التي يحملونها للذات وللفلسطيني من التجمعات الثلاثة، وللعربي بشكل عام، لكنهم يختلفون في الصورة الاجمالية التي يحملونها لليهودي الاسرائيلي. فصورة اليهودي التي يحملها الاسلاميون (مؤيدو حماس والجهاد الاسلامي) هي الأقل إيجابية (تقييم 2,1). يبدو ان ذلك يعود الى رفع الاسلاميين لشعار «الدولة الاسلامية في كل فلسطين»، ومعارضتهم لوجود دولة يهودية على أي جزء من فلسطين.

جـدول رقـم (3)

معاملات ارتباط "بيرسون" بين الصور الاجمالية المختلفة وبين هذه الصور وعدد من المتغيرات الاساسية ، 1994+

	انت كما تحب ان تكـون	انت في الواقع	عربـي مـن الضفة الغربية	عربـي من قطـاع غزة	عربي من اسرائيل	عربي بشكل عـام	يهودي من اسـرائيل
صـور اجماليـة :							
انت كما تحب ان تكون	1.00						
انـت فـي الواقـع	0.38**	1.00					
عربي من الضفة الغربية	0.28**	0.27**	1.00				
عربي من قطاع غـزة	0.26**	0.23**	0.69**	1.00			
عربي من اسرائيـل	0.11	0.12*	0.34**	0.32**	1.00		
عربي بشكل عـام	0.11	0.13*	0.49**	0.45**	0.39**	1.00	
يهودي من اسـرائيل	-0.02	-0.02	-0.12*	0.06	0.15**	0.05	1.00
متغيـرات اساسـية :							
عدد السـاعات المعتمدة	-0.04	-0.08	-0.12*	-0.11*	-0.15*	-0.13*	-0.06
مستوى تعليم الاب	-0.04	-0.02	-0.03	-0.04	-0.07	-0.09	0.05
مستوى تعليم الام	0.07	0.03	0.00	-0.01	-0.01	-0.05	0.06
دخـل الاسـرة	-0.04	0.01	-0.03	0.00	-0.06	-0.01	-0.08
التديـن (الصـلاة)	0.12*	0.09	0.13*	0.17**	0.02	0.05	-0.19**

\+ تتراوح قيمة معامل الارتباط بين +1 و -1 ، الاولى تمثل ارتباطا طرديا تاما والثانية تمثل ارتباطا عكسيا تاما. أما قيمة الصفر فتمثل انعدام الارتباط . عادة تأخذ قيمة معامل الارتباط بين متغيرين شكل كسر مئوي.

* العلاقة ذات دلالة احصائية على مستوى 0.01 ($p \leq 0.01$). هذا يعني ان احتمال ان تكون العلاقة صدفة لا يزيد على 0.01 .

** العلاقة ذات دلالة احصائية على مستوى 0.001 ($p \leq 0.001$). أي ان احتمال ان تكون العلاقة صدفة لا يزيد على 0.001 .

ويعرض جدول رقم (3) معاملات ارتباط «بيرسون» بين الصور الاجمالية المختلفة، وكذلك بين هذه الصور وعدد من المتغيرات الأساسية. ويوضح الجدول في الجزء الاسفل منه ان الصور الاجمالية للشخصيات المختلفة لا تتأثر جوهريا بمستوى تعليم الاب ومستوى تعليم الام ودخل الأسرة، ولكنها تتأثر بتدين الطالب وبعدد الساعات المعتمدة (أو بالسنة الدراسية التي أنهاها). فمع ازدياد تدين الطالب، تتحسن أكثر، في نظره، الصورة الاجمالية للشخصية الفلسطينية من الضفة الغربية وقطاع غزة، وتسوء أكثر، في نظره أيضا، الشخصية اليهودية. وواضح ان هذه النتيجة تنسجم مع تردي الصورة الاجمالية التي يحملها الاسلاميون لليهودي الاسرائيلي. أما بالنسبة لعدد الساعات المعتمدة (أو السنوات الدراسية التي أنهاها الطالب) فمع تقدم الطالب في الدراسة الجامعية يزيد نقده لشخصيات العربي من الضفة الغربية والعربي من قطاع غزة والعربي داخل اسرائيل والعربي بشكل عام، وتصبح الصورة الاجمالية التي يحملها لهذه الشخصيات أقل إيجابية . وقد يشير ذلك الى تعزز نقد الطالب لمجتمعه وثقافته، مع تقدمه في الدراسة الجامعية.

ج ـ الارتباطات المتبادلة بين الصور الاجمالية المختلفة: يوضح الجزء الأعلى من جدول رقم (3) ان الصور الإجمالية للشخصيات المختلفة، باستثناء اليهودي الاسرائيلي، ترتبط طرديا مع بعضها. أي ان الطلبة الذين يحملون صورة ايجابية لاحدى هذه الشخصيات يحملون، بشكل عام، صورا إيجابية للشخصيات الأخرى. والعكس صحيح، أي ان الطلبة الذين يقيمون سلبيا احدى هذه الشخصيات يقيمون سلبيا، بشكل عام، الشخصيات الأخرى. ويلاحظ بشكل خاص ارتباط تقييم الذات طرديا مع تقييم الشخصيات الأخرى. فمع تحسن تقييم الطالب لذاته، وبشكل خاص ذاته الواقعية، يتحسن تقييمه للشخصيات الأخرى، ما عدا تقييمه للشخصية اليهودية الذي يبقى ثابتا.

ويلاحظ ان الصورة الاجمالية لليهودي الاسرائيلي ترتبط طرديا فقط مع الصورة الاجمالية للفلسطيني داخل اسرائيل (معامل ارتباط 0,15). أي ان الطلبة الذين يقيمون إيجابيا شخصية اليهودي الاسرائيلي يقيمون إيجابيا، بشكل عام، شخصية الفلسطيني داخل اسرائيل، والعكس صحيح. فتقييم سلبي للشخصية اليهودية يرافق، بشكل عام، بتقييم سلبي للشخصية الفلسطينية داخل اسرائيل. وقد يشير ذلك الى ان الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية يحمل للفلسطينيين في اسرائيل صورة مميزة اكتسبت بعض ملامح الشخصية اليهودية (مثل متوسط في شجاعته وعقلاني). من ناحية أخرى، يلاحظ ان الصورة الاجمالية لليهودي الاسرائيلي ترتبط عكسيا بصورة الفلسطيني من الضفة الغربية (معامل ارتباط ـ 0,12). أي ان صورة إيجابية للفلسطيني في الضفة الغربية ترافق، بشكل عام، بصورة سلبية لليهودي الاسرائيلي. ومع ان الارتباط ضعيف بين الصورتين، إلا انه قد يشير الى وجود بعض التناقض بينهما.

د ـ صورة اليهودي والاستعداد للتعايش معه: أوضحنا سابقا ان صورة اليهودي الاسرائيلي، في نظر الشباب الفلسطيني، هي الأقل إيجابية بين صور الشخصيات التي شملها البحث. مع ذلك، فصورة اليهودي الاجمالية، وهي متوسط تقييمه على الصفات الثلاث المذكورة، ليست سلبية بل معتدلة (تقييم اجمالي 2,5 على سلم مكون من 5 درجات). والسؤال الآن هو: هل هنالك علاقة بين الصورة التي يحملها الشباب الفلسطيني لليهودي الاسرائيلي والاستعداد للتعايش معه؟

جدول رقم (4)
معاملات ارتباط (بيرسون) بين صور اليهودي الاسرائيلي والاستعداد للتعايش معه، 1994 (1)

الاستعداد للتعايش	صورة اليهودي: شجاع	غير: عدواني	عقلاني	الصورة الاجمالية (2)
مستعد للعمل في مكتب واحد مع يهود	0.18**	0.17**	-0.06	0.18**
مستعد لمصادقة يهود	0.18**	0.25**	-0.08	0.21**
مستعد للسكن في بيت جيرانه يهود	0.15**	0.13*	0.02	0.18**
مستعد للزواج من يهودية/يهودي	0.12**	0.08	0.07	0.08
الاستعداد الاجمالي للتعايش مع اليهود (3)	0.20**	0.20**	-0.06	0.21**

(1) انظر الملاحظات على جدول رقم 3

(2) انظر الملاحظات على جدول رقم 2

(3) الاستعداد الاجمالي للتعايش مع اليهود تم احتسابه بواسطة جمع الاستعداد للعمل في مكتب واحد معهم والاستعداد لمصادقتهم والاستعداد للسكن بجوارهم والاستعداد للزواج منهم وقسمة حاصل الجمع على 4 (عدد المؤشرات).

* العلاقة ذات دلالة احصائية على مستوى 0,01 ($P \leq 0.01$). أي ان احتمال أن تكون العلاقة صدفة لا يزيد على 0.01.

** العلاقة ذات دلالة احصائية على مستوى 0,001 ($P \leq 0,001$). أي ان احتمال أن تكون العلاقة صدفة لا يزيد على 0.001.

يوضح جدول رقم (4) ان الصورة التي يحملها الشباب الفلسطيني لليهودي الاسرائيلي ترتبط طرديا بالاستعداد للتعايش مع اليهود (وبشكل خاص العمل معهم ومصادقتهم والسكن بجوارهم). أي ان الشباب الفلسطيني، الذي يحمل صورة ايجابية لليهودي الاسرائيلي، هو أكثر استعداداً للتعايش معه من الشباب الذي يحمل صورة سلبية (معامل ارتباط 0,21 بين الصورة الاجمالية والاستعداد الاجمالي للتعايش).

وأخيرا، يلاحظ ان بعض سمات الصورة التي يرسمها الفلسطيني لليهودي الاسرائيلي تؤثر في الاستعداد للتعايش معه أكثر من سمات أخرى. فتقييم اليهودي شجاعا وغير عدواني يعزز الاستعداد للتعايش معه، أما تقييمه عقلانيا فلا يؤثر على الاستعداد لربط أي علاقة اجتماعية معه (ارتباطات العقلانية ضعيفة وتقترب من الصفر مع كل مؤشرات التعايش وكذلك مع الاستعداد الاجمالي للتعايش). ويمكن تفسير هذه النتيجة في ان الشجاعة وعدم العدوانية هما أكثر فاعلية، في العلاقة مع الآخر، من العقلانية. والناس يتقربون، بشكل عام، من الشخص المتفاعل إيجابيا مع الآخرين

(كالشخص الشجاع وغير العدواني والصادق والأمين والمستقيم)، ولا يتقربون بالدرجة نفسها من الشخص المنزوي على نفسه، حتى لو تميز بتقدمه الذهني (كالشخص العقلاني والذكي وربما الطموح).

الخلاصة

أظهرت نتائج البحث ان الصورة الأكثر ايجابية في نظر الشباب في الضفة الغربية وقطاع غزة هي صورة الذات، التي تتحلى بصفات مثالية أو مستحبة (شجاعة، عقلانية، وعدم عدوانية). يلي صورة الذات، حسب الترتيب، صورة الفلسطيني، العربي بشكل عام، وأخيرا اليهودي الاسرائيلي. ومع ان صورة اليهودي الاسرائيلي هي الأقل إيجابية، إلا انها ليست سلبية بل تميل الى الاعتدال، وهي أفضل بكثير من صورة العربي، السلبية بمجملها، التي يحملها الشباب الاسرائيلي، والتي أشرنا إليها سابقا. هذا يعني ان تعصب الفلسطينيين ضد اليهود الاسرائيليين أقل من تعصب اليهود الاسرائيليين ضد الفلسطينيين. هذه النتيجة تتفق مع النظرية القائلة ان أبناء الجماعة الاثنية المسيطرة (سياسيا واقتصاديا) أكثر تعصبا ضد الآخر من أبناء الجماعة الاثنية المسيطر عليها. ذلك لأن المطالبة بإنهاء السيطرة، من قبل الجماعة الثانية، تشكل تهديدا لاستمرار امتيازات الجماعة الأولى (Quillian 1995, 88).

وتشير نتائج البحث، كما ذكرنا، الى ان صورة الفلسطيني، في نظر الشباب الفلسطيني، هي أكثر إيجابية من صورة العربي بشكل عام، واليهودي الاسرائيلي. لكن تبين ان المبحوثين من الضفة الغربية وقطاع غزة لا يرسمون صورة موحدة للشخصية الفلسطينية في التجمعات المختلفة. فصورة الفلسطيني ابن الضفة والقطاع أفضل، في نظرهم، من صورة الفلسطيني داخل اسرائيل. وقد يعود ذلك الى إدراك المبحوثين ان للفلسطينيين داخل اسرائيل مصيرا سياسيا مختلفا، مصيرا مرتبطا بدولة اسرائيل وليس ببقية الشعب الفلسطيني. لقد تعزز هذا الإدراك بعد التوقيع على الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي، واعتراف القيادة الفلسطينية بالفلسطينيين داخل اسرائيل «مواطنين اسرائيليين» وتخليها عن اعتبارها إياهم جزءاً من القضية الفلسطينية.

وتتأثر الصورة التي يرسمها الشباب الفلسطيني في الضفة والقطاع لبعض الشخصيات، وبشكل خاص للعربي داخل اسرائيل ولليهودي الاسرائيلي، بعدد من المتغيرات الأساسية. أول هذه المتغيرات هو مكان السكن. فقد تبين ان الطلبة من أبناء المخيمات يرسمون للعربي داخل اسرائيل، ولليهودي الاسرائيلي، صورا أكثر إيجابية من تلك التي يرسمها لهم الطلبة القادمون من القرى والمدن. وقد يعود ذلك الى العلاقات العائلية والثقافية والتاريخية، التي تربط أبناء المخيمات بالعرب داخل اسرائيل، من ناحية، والى اختلاط ابناء المخيمات أكثر من غيرهم، بسبب العمل في اسرائيل، بالمواطنين الاسرائيليين يهودا وعربا، من ناحية أخرى. وتبين ايضا ان للميل السياسي وللتدين بعض التأثير على صورة اليهودي الاسرائيلي. فالصورة التي يحملها الاسلاميون (مؤيدو حماس والجهاد الاسلامي) لليهودي الاسرائيلي، هي أقل إيجابية من الصورة

التي يحملها له المستقلون أو مؤيدو التيارات السياسية الأخرى. ويعود ذلك الى رفض الاسلاميين للواقع السياسي الجديد، والى دعوتهم بناء دولة اسلامية في كل فلسطين. وينسجم مع هذه النتيجة تردي صورة اليهودي الاسرائيلي مع ازدياد تدين الشاب الفلسطيني.

ويستدل من نتائج البحث ايضا ان هنالك علاقة طردية بين تحسن صورة اليهودي الاسرائيلي والاستعداد للاختلاط والتعايش معه (مصادقته، مجاورته، والعمل معه). أي ان الشباب الفلسطيني الذي يحمل صورة ايجابية لليهودي الاسرائيلي هو أكثر استعدادا للتعايش معه من الشباب الذي يحمل صورة سلبية. ومن هذه النتيجة، يمكن صياغة هذا التعميم: ان الصورة التي يرسمها الشخص للآخر تؤثر على مدى استعداده للتعايش معه. فيزيد الاستعداد إذا كانت الصورة إيجابية ويقل إذا كانت سلبية.

المصادر العربية

ابوعيطة، مازن

1988 «الآراء المسبقة والعلاقات بين العرب واليهود»، شؤون أكاديمية، السنة الأولى، العدد (2)، القدس.

الفيصل، عبدالله

1995 «المسافة الاجتماعية بين بعض الطلاب السعوديين والجنسيات العربية»، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 23، العدد (2) صيف 113 ـ 149.

بدوي، السيد محمد

1980 علم الاجتماع الاقتصادي، الاسكندرية: دارالمعرفة الجامعية.

بركات، سهير

1980 «الإعلام وظاهرة الصورة المنطبعة»، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد (1) نيسان/ابريل 103 ـ 119.

حاتم، هيام

1980 مراجعة لكتاب صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الاميركية، تأليف نادية سالم، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد (2) تموز/يوليو 189 ـ 194.

سالم ،نادية

1978 صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الاميركية، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

1989 «صورة العرب في الغرب»، المستقبل العربي، العدد (29)تشرين الثاني/نوفمبر 78 ـ 89.

سعيد، ادوارد

1981 الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال ابوديب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1981.

ضاهر، مسعود

1993 «صورة اليابان عند العرب»، شؤون عربية، العدد (75)سبتمبر/ايلول 156 ـ 167.

نخبة من اساتذة قسم الاجتماع

ب.ت المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

المصادر العبرية

بنيميني، كلمن

1980 «صورة العربي في نظر الشباب الاسرائيلي»، عيونيم بحنوخ، عدد (27) اكتوبر القدس.

1969 «خطوط لصورة الإنسان الاسرائيلي والاميركي والالماني والعربي في نظر الشباب الاسرائيلي» مجموت، مجلد 16، عدد (4) نوفمبر القدس.

1994 مواقف سياسية ومدنية للشباب اليهودي في اسرائيل، القدس: الجامعة العبرية.

هوفمان، يوحنان

1974 «صور قومية للشباب العربي في اسرائيل وفي الضفة الغربية»، مجموت، مجلد 20، رقم (3) يوليو القدس.

شفارتسولد، يوسف

1980 «الصورة المسبقة للإسرائيلي في نظر طلبة المرحلة الإعدادية»، مجموت مجلد 25، رقم (3) مارس القدس.

المصادر الأجنبية

Bell, G.

1907 The Desert and the Sown. London: William Heinemann.

Berger, B.

1964 The Arab World Today. New York: Anchor Books.

Bogardus, E.

1933 "A Social Distance Scale." Sociology and Social Research 17: 265-271

Bogardus, E.

1925 "Measuring Social Distances." Journal of Applied Sociology 9: 299-308.

Francois, J.

1887 History of the Crusades. New York: Armstrong and Sons.

Geschwender, J.

1980 Racial Stratification in America. Dubuque, Iowa: Wm. C. Brown Company.

Gibb, H.

1947 Modern Trends in Islam. Chicago: University of Chicago Press.

Glidden, H.

1972 "The Arab World." American Journal of Psychiatry 128 (8).

Hofman, J.

1972 "Readiness for Social Relations Between Arabs and Jews in Israel." The Journal of Conflict Resolution 16 (June): 241-251.

Man, Michael (ed).

1983 Macmillan Student Encyclopaedia of Sociology. London: Macmillan Press,.

Mi'ari, M.

1989 "The Effect of the Uprising on Readiness for Interethnic Contact Among Palestinians in Israel." International Journal of Comparative Sociology XXX 3-4: 238-246.

Park, R.

1924 "The Concept of Social Distance." Journal of Applied Sociology 8: 339-344.

Peres, Y.

1971 "Ethnic Relations in Israel." American Journal of Sociology 76 (May): 1020-1047.

Quillian, L.

1995 "Prejudice as a Response to Perceived Group Threat: Population Composition and Anti-Immigrant and Racial Prejudice in Europe." American Sociological Review 60 (August): 586-611.

Secord, P. & Backman, C.

1974 Social Psychology. Second Edition. Tokyo: McGraw-Hill Kogakusha.

Selton, K.

1958 A History of the Crusades. Philadelphia: Pennsylvania Press.

Smith R.

1912 Lectures and Essays. J. Black and G. Chrysta eds. London: Adam and Charles Black.

Smooha, S.

1992 Arabs and Jews in Israel. Vol. 2.Boulder: Westview Press.

Tyrell, E.

1976 "Chimera in the Middle East. Harper (November).

Wollaston, A.

1905 The Sword of Islam. London: Murray.

Sociology

The Self and the Other as Seen by Palestinian Youth

Mahmoud Mi'ari *

This research studies the images and stereotypes which Palestinian youth hold about themselves and relevant others (the Palestinian, the Arab, and the Israeli Jew). The data of this survey were collected in 1994, by structured questionnaires. on a systematic random sample of 496 students from Birzeit University in Palestine. The image of a person was measured by questions about the extent to which that person is seen as courageous, rational and aggressive by the respondent.

The findings show that the image of the self is the most positive, followed, in order by the image of the Palestinian, and then the Arab, and the least positive is that of the Israeli Jew. While Palestinians from different territories have better images than others (other Arabs and Israeli Jews), their images are not exactly the same. Palestinians from the West Bank and Gaza Strip have a better image than those living in Israel. This finding may be explained by the fact, that the Oslo agreement, signed in 1993 by the Israeli government and the Palestine Liberation Organization, excluded the Palestinians in Israel from being a part of the Palestinian problem, and the Palestinian leadership has recognized them as "Israeli citizens", whose political destination is tied with Israel and not with the Palestinian people. As for Israeli Jews, their image, although the least positive, is not completely negative but, rather, tends to be moderate. It is clear that Jews' image among Palestinians is that Palestinians are less prejudiced against Israeli Jews than Israeli Jews are against Palestinians.

* Associate Professor, Dept. of social and human science, Birzeit University, Palestine.

Journal of the social sciences.
Vol. 25 - No. 3 - Autumn 1997 - P.P. 105 - 126.